

145797 - قصة ثعلبة الذي رأى امرأة تغتسل فمات من خوف الله

السؤال

أود التأكيد من صحة قصة سمعتها، وعلى القول بضعفها هل يجوز حكايتها؛ لأن في حكايتها أثراً طيباً في نفوس الناس، وهل يلزمني عند حكايتها توضيح ضعفها؟ والقصة هي :

"ثعلبة بن عبد الرحمن، كان غلاماً يتيمًا من الأنصار، لا يتجاوز عمره ست عشرة سنة، كان يكثر الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسله يوماً في حاجة له من أسواق المدينة، فمر بيته من بيوت الأنصار، فنظر إلى باب البيت فإذا بباب البيت مفتوحاً، وإذا بستر مرحى على حمام، فجاءت الريح فحركت الستير، فإذا وراء الستير امرأة تغتسل، فنظر إليها نظرة أو نظرتين ثم أفاق واستعظم الأمر، وخشى من نزول آيات فيه، وذكره مع المنافقين لهذا الذنب، فخشى أن يرجع عند النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج في الصحراء ما يدرؤن أين ذهب، فلما تأخر عليه ثلاثة أيام أمر بعض الصحابة أن يبحثوا عنه في المدينة فلم يعثروا له على أثر، فصبر حتى أربعين يوماً، فأمرهم أن يبحثوا عنه في الفلوات لقلقه عليه الصلاة والسلام، فذهبوا يبحثون عنه، فوقفوا على جماعة من البدو، فوصفوه لهم فقال البدو: لعلكم تبحثون عن الفتى البكاء؟ فقالوا: أين هو؟ قالوا: على سفح هذا الجبل، ينزل آخر النهار فاختبئوا له واحتملوه إلى بيته؛ لأنَّه كان متعباً من شدة البكاء، وذهب إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فسألَه ثعلبة عن نزول آيات فيه؟ قال: لا. فاشتد مرض ثعلبة، والنبي جالس بجنبه حتى مات رضي الله عنه، فصلوا عليه وهم في الجنازة ليدفنوه كان النبي صلى الله عليه وسلم يمشي على أطراف قدميه، فسألَه عمر عن ذلك، فقال: ويحك يا عمر والله ما أجد لقدمي موضعًا من كثرة ما يزاحمني عليه من الملائكة".

الإجابة المفصلة

القصة المذكورة في السؤال مختصرة من قصة مطولة، تروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

إن فتى من الأنصار يقال له ثعلبة بن عبد الرحمن أسلم، فكان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، بعثه في حاجة، فمر بباب رجل من الأنصار، فرأى امرأة الأنصاري تغتسل، فكرر النظر إليها، وخفف أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج هارباً على وجهه، فأتى جبلاً بين مكة والمدينة فولجها، ففقد رأسه صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً، وهي الأيام التي قالوا ودعا ربها وقلَّ، ثم إن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد! إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إنَّ الْهَارِبَ مِنْ أَمْتَكَ بَيْنَ هَذِهِ الْجَبَالِ يَتَعَوَّذُ بِي مِنْ نَارِي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر ويا سلمان! انطلقَا فَأَتَيْنَاكُمْ بِثُعلْبَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فخرجا في أنقاب المدينة، فلقيهما راعٍ من رعاء المدينة يقال له: ذفافه. فقال له عمر: يا ذفافه! هل لك علم بشاب بين هذه الجبال؟ فقال له ذفافه لعلك تريد الهازب من جهنم؟ فقال له عمر: وما علمك أنه هارب من جهنم؟ قال: لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من هذه الجبال واضعاً يده على رأسه وهو يقول: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد ولم

تجدرني في فصل القضاء . قال عمر : إياه نريد . قال : فانطلق بهم رفقة ، فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال واضعا يده على أم رأسه وهو يقول : يا ليتك قبضت روحي في الأرواح ، وجسدي في الأجساد ، ولم تجدرني لفصل القضاء . قال : فعدا عليه عمر فاحتضنه فقال : الأمان الخلاص من النار . فقال له عمر : أنا عمر بن الخطاب . فقال : يا عمر ! هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنبي ؟ قال : لا علم لي إلا أنه ذكرك بالأمس فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يا عمر ! لا تدخلني عليه إلا وهو يصلي ، وبلال يقول : قد قامت الصلاة . قال : أفعل . فأقبلوا به إلى المدينة ، فوافقوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صلاة الغداة ، فبدر عمر وسلمان الصف ، فما سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا عمر ويا سلمان ! ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن ؟ قالا : هو ذا يا رسول الله . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فقال : ثعلبة ! قال : ليك يا رسول الله ! فنظر إليه فقال : ما غيّبك عنِّي ؟ قال : ذنبي يا رسول الله . قال : أفلأ كذلك على آية تكفر الذنوب والخطايا ؟ قال : بلى يا رسول الله ! قال : قل : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قال : ذنبي أعظم يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل كلام الله أعظم . ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصراف إلى منزله . فمرض ثمانية أيام ، فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! هل لك في ثعلبة نأته لما به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا بنا إليه . فلما دخل عليه أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فوضعه في حجره ، فأزال رأسه عن حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أزلت رأسك عن حجري ؟ قال : إنه من الذنوب ملآن . قال : ما تجد ؟ قال : أجد مثل دبيب النمل بين جلدي وعظمي . قال : فما تشتئي ؟ قال : مغفرة ربِّي . قال : فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن ربِّك يقرأ عليك السلام ويقول : لو أن عبدي هذا لقيني بقرب الأرض خطيئة لقيته بقربها مغفرة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلأ علمنه ذلك ؟ قال : بلى . فأعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فصاح صيحة فمات . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسله وكفنه وصلى عليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على أطراف أنامله ، فقالوا : يا رسول الله ! رأيناك تمشي على أطراف أنamlk ؟ قال : والذي بعثني بالحق نبيا ما قدرت أن أضع رجلي على الأرض من كثرة أجنهة من نزل لتشييعه من الملائكة .

رواه أبو نعيم في " حلية الأولياء " (329/9-329) وفي " معرفة الصحابة " (498/1) - ومن طريقه ابن الجوزي في " الموضوعات " (121/3) .

ورواه الخرائطي في " اعتلال القلوب " (272) ، ومن طريقه ابن قدامة في " التوابين " (105-108) .

ورواه أبو عبد الرحمن السلمي في " طبقات الصوفية " (ص/51) .

وابن مندة مختصرا - كما في " الإصابة " لابن حجر (405/1) :-

جميعهم من طريق : سليم بن منصور بن عمار ، ثنا أبي ، عن المنكدر بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما... فذكر القصة .

إلا أن رواية الخرائطي ليس فيها ذكر قوله تعالى : (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) .

وهذا الحديث ضعيف ، فيه عدة علل :

أولاً : سليم بن منصور بن عمار لم يوثقه أحد من أهل العلم توثيقا صريحا .

قال ابن أبي حاتم رحمة الله :

"روى عنه أبي ، وسألته عنه فقلت : أهل بغداد يتكلمون فيه ؟ فقال : مه ، سأله ابن أبي الثلوج عنه فقلت له : إنهم يقولون : كتب عن ابن علية وهو صغير ؟ فقال : لا ، كان هو أسن منا" انتهى .

"الجرح والتعديل" (4/216) .

وقال الذهبي رحمة الله :

"تكلم فيه ولم يُثْرَك" انتهى .

"المغني في الضعفاء" (1/285) .

وقد ذكر بعض أهل العلم أن له متابعا ، ولكنها متابعة ضعيفة أيضا .

قال ابن عراق رحمة الله :

"سليم توبع ، فقد رواه عثمان بن عمر الدراج في جزئه فقال : حدثنا أبو نصر أحمد بن محمد بن هشام الطالقاني ، حدثني جدي ، حدثنا منصور بن عمار . وهذا الطالقاني ما عرفته" انتهى .

"تنزيه الشريعة" (1/349) .

ثانياً : منصور بن عمار الواعظ .

كان إليه المنتهى في بلاغة الوعظ ، وترقيق القلوب ، وتحريك الهمم ، وعظ بغداد والشام ومصر ، وبعد صيته واشتهر اسمه .

قال أبو حاتم : ليس بالقوى . وقال ابن عدي : منكر الحديث . وقال العقيلي : فيه تجهم . وقال الدارقطني : يروي عن الضعفاء أحاديث لا يتابع عليها .

انظر: "ميزان الاعتدال" (187-4/188) .

ثالثاً : المنكدر بن محمد بن المنكدر

قال ابن عبيدة : لم يكن بالحافظ . وعن يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال مرة : ليس به بأس . وقال أبو زرعة : ليس بالقوى . وقال أبو حاتم : كان رجلا لا يفهم الحديث ، وكان كثير الخطأ ، لم يكن بالحافظ لحديث أبيه . قال الجوزجاني والنسائي : ضعيف . ولخص الحافظ ابن حجر في "التقريب" الحكم عليه فقال : لين الحديث .

انظر: "تهذيب التهذيب" (10/318).

رابعاً : وفي الحديث علة في المتن أيضاً :

فالآية المذكورة في الحديث : (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) الضحى/3 ، نزلت في مكة قبل الهجرة ، وفي هذا الحديث ما يدل على نزولها في المدينة بعد الهجرة ، وهذه مخالفة منكرة .

وقد حكم عليه ابن الجوزي رحمة الله بأنه موضوع فقال :

"هذا حديث موضوع شديد البرودة ، ولقد فضح نفسه من وضعه بقوله : (وذلك حين نزل عليه : مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) وهذا إنما أنزل عليه بمكة بلا خلاف ، وليس في الصحابة من اسمه ذفافة ، وقد اجتمع في إسناده جماعة ضعفاء ، منهم : المنكدر ، قال يحيى : ليس بشيء . وقال ابن حبان : كان يأتي بالشيء توهما ، فبطل الاحتجاج بأخباره . ومنهم : سليم بن منصور ، فإنهم قد تكلموا فيه" انتهى .

"الموضوعات" (3/123) ، ووافقه السيوطي في "اللآلئ المصنوعة" (1/416).

وقال ابن الأثير رحمة الله :

"فيه نظر غير إسناده ، فإن قوله تعالى : (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) نزلت في أول الإسلام والوحى والنبي بمكة ، والحديث في ذلك صحيح ، وهذه القصة كانت بعد الهجرة فلا يجتمعان" انتهى .

"أسد الغابة" (1/358).

وقال الحافظ ابن حجر رحمة الله :

"قال ابن مندة - بعد أن رواه مختصرا - : تفرد به منصور . قلت - أي الحافظ ابن حجر - : وفيه ضعف ، وشيخه أضعف منه ، وفي السياق ما يدل على وهن الخبر ؛ لأن نزول (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) كان قبل الهجرة بلا خلاف" انتهى .

"الإصابة" (1/405) ، ونقله السخاوي وأقره في "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" (152).

والحاصل : أن هذه القصة سندتها مسلسل بالضعفاء ، وفي متنها ما يدل على نكارة ، فلا يجوز روایتها ولا التحدیث بها إلا مع بيان ضعفها ، وكونها تتعلق بالرقائق لا يجيز التساهل في شأنها ، لأن إسنادها شديد الضعف ، وقد اشترط العلماء الذين أجازوا روایة

الحادي عشر في أبواب الرقائق لا يكون شديد الضعف ، وليس فيه ما يستنكر .

وانظر لمزيد الفائدة جواب السؤال رقم (44877) .

والله أعلم .